رِسَالَةٌ فِي

فَضْلِ العِلْمِ و فَوَائِدِهِ

بِقَلَمِ الشّيخِ

عبدُ الغَنِيِّ بنِ الحَسَنِ عَوْسَاتْ

حفظه الله تعالى

ترجمها إلى اللّغة الفرنسيّة و أعدّها للنّشر

أبُو فَهِيمَة عبدُ الرَّحمن البِجَائِي

طُبِعَت على نَفَقَةِ بَعْضِ المُحْسِنين –جزاهم اللهُ خيرًا–



الطّبعة الأولى: ١٤٣٢/٢٠١١م

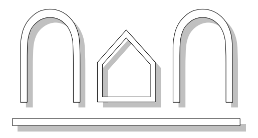
لأيّ استفسار أو اقتراح يرجى الاتّصال على العنوان التّالي

scienceislam@hotmail.fr

للإطّلاع على هذه الرّسالة على شبكة الإنترنت

ندعوكم لزيارة موقع الشّيخ عبد الغني عَوْسَاتْ حفظه الله:

http://www.aoussat.com



أخي الكريم؛ أختي الكريمة !

بعد مطالعتكم لهذه الرّسالة امنحوها لغيركم ليستفيد منها؛ وكذلك ادعوا من تعرفون بالرّفق والحكمة إلى الحقّ الذي فيها؛ وإنّه من حقّكم أن تطبعوها وتوزّعوها مجّانا، لكن دون أنْ تغيّروا أيّ شيءٍ منها...

وجزاكم الله خيرا

مقدمة الترجمة

الحَمدُ لله الّذي خَلقَ الإنسانَ وعَلَّمهُ ما لَم يَكُن يَعلَم، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى خَيرِ مَن بَلَّغَ وعَلَّمَ؛ محمّدُ بنِ عَبدِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ؛ وعَلى آلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرينَ أُولِي العُلومِ والحِكَمِ، وسَائِرِ صَحَابَتِهِ الميَامِينِ ذَوِي الفَضَائِلِ والمنَاقِبِ والهِمَمِ، الّذينَ خَاطَبَهُم ربُّنا جَلَّ وعَزَّ شَاهِدًا لَهُم بِالخَيرِيَّةِ والإِيمَانِ، ومَادِحًا أَمْرُهُم بِالمعْرُوفِ ونَهْيِهِم عنِ المنْكَرِ فَقالَ تَبارَكَ وتَعَالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وبَعْدُ؛ فَإِنَّ مِنْ خَيرِ الأُمُورِ الّتي يَسعَى لِتَحْصِيلِها العُقَلاءُ الأَتْقِيَاءُ، ويَقْضِي الأَعْمَارَ في بَثِّها ونَشرِها العُلَماءُ العَامِلُونَ الفُضَلاءُ؛ العِلمَ الشَّرعِيَّ الّذي يَنْبَني على الكِتابِ

والسُّنَّةِ بِفَهمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِهَذه الأُمَّةِ؛ فَقَد نَزَلَت آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مُحْكَماتٌ، ورُوِيَت أَحَاديثٌ صَحِيحَاتٌ صَرِيحَاتٌ، كُلُّها في إِثباتِ فَضلِ وشَرَفِ العِلمِ وأهلِهِ مِمَّن فَقهَ في الدِّين واستَنارَ به في سَعْيِهِ إلى رَبِّ العَالَمينَ، دَاعِيًا إِلَيه وحَاثًّا على تَعَلُّمِهِ والعَمَلِ بِه وكَذا نَشرِهِ وتَعلِيمِهِ غَيرَهُ مِن المسلِمينَ؛ قال اللهُ سُبحانَهُ وتَعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تَعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] ، وقال تَعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦] .

وقال النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم :"**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ لِرِضَى اللهِ عَنْهُ، وإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَان فِي جَوْفِ المَاءِ. وإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ؛ فَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا ولَا دِرْهَمًا وإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ**". رواه أبو داود، وابن ماجه وأحمد وغيرهم.

قَال ابنُ جَمَاعَةَ رَحِمهُ الله مستنبطا فضل العلماء من هذا الحديث:"وحَسبُكَ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ مَجدًا و فَخرًا، و بِهَذِهِ الرُّتبَةِ شَرَفًا و ذِكرًا، فَكَما لا رُتْبَةَ فَوقَ رُتبَةِ النُّبُوَّة فلا شَرَفَ فَوقَ شَرفِ وَارِثِ تِلكَ الرُّتبَة"[1].

وقال رَحِمَهُ اللهُ في فَضلِ طَلَبِ العِلمِ و انتِفاعِ مَن يَطلُبُهُ بِدُعاءِ مَن يَدعو لَهُ مِنَ الملائِكةِ وغَيرِهِم :"و اعلَم أَنَّهُ لا رُتبَةَ فَوقَ رُتبَة مَن تَشتَغِلُ الملائِكَةُ و غَيرُهُم بِالاستِغفارِ والدُّعاءِ لَه و تَضَعُ أَجنِحَتَها، و إِنَّه لَيُتَنافَسُ في دعُاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ أَو مَن يُظَنُّ صَلاحهُ فَكَيْفَ بِدُعاءِ الملائِكَة...". (يُنظَر في "تذكرة السّامع و المتكلّم في أدب العِلم و المتعلّم"، للعلّامة بدر الدّين أبي عبد الله بن جماعة الكناني، ص ٤٣ و ٥٢).

فلا شكَّ أنَّ هَذا مِمَّا يَستَدعِي العَزمَ و التَّشميرَ على سَاعِدِ الجِدِّ وإِعْمالِ الهَمِّ طَلبًا للعِلمِ، فالبِدَارَ البِدَارَ إِلى العِلمِ تَعَلُّمًا ودِرَاسَةً وطَلَبًا، فَليسَ مَن يَعْلَم كَمَن لا يَعْلَم؛ وكُلّما ازْدَادَ الإِنسانُ عِلمًا ارتَفَعَتْ عَنهُ صِفَةُ الجَهَالَةِ الَّتي وُلِدَ بِها وزَالَ عَنه الجَهْلُ ؛ وكُلَّما زَالَ عَنه الجَهلُ اقْتَرَبَ مِن مَوْلَاهُ سُبْحانَهُ وتَعالى

وكان أَهلاً لِإِكْرَامِهِ وإِنْعَامِهِ وتَفْضِيلِهِ، قال اللهُ تَعالى : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١] .

فَلِأَجْلِ هَذِهِ المعَانِي السَّامِيَةِ والمقَاصِدِ العَالِيَةِ جاءَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ اللَّطِيفَةُ في مَبْنَاها، الهَادِفَةُ والغَزِيرَةُ جِدًّا في مَعْناها الَّتي سَطَّرَها شَيْخُنا الفَاضِلُ عَبدُ الغَنِيِّ بنِ الحَسَنِ عَوْسَاتْ –حَفِظَهُ اللهُ تَعالى– مُذَكِّرًا إِخوانَهُ المسْلِمينَ، والشَّبابَ بِوَجهٍ خَاصٍ، بأَهَمِيَّةِ الفِقْهِ في الدِّينِ وفَضلِ العِلمِ وشَرَفِهِ؛ فَلْيُمْعِنوا فيها النَّظَرَ وليَسْتنِيرُوا بِما فيها مِنْ عِلمٍ ودَعْوَةٍ إلى الخَيْرِ والأَثَرِ، عَسَى اللهُ –تَبَارَكَ اسمُهُ– أَنْ يَشْحَذَ بِها الهِمَم وتَرْقَى بها العَزَائِمُ إِلى أَعْلى القِمَم، فَبِالعِلْمِ النَّافِعِ والعَمَلِ بِهِ نَكُونُ خيْرَ أُمَّةٍ عَرَفَتْها الأُمَم، قال اللهُ تَعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي الأَخِير نَسأَلُ اللهَ تَباركَ وتَعالى بأسمائِهِ الحُسْنى وصِفاتِهِ العُلَى أَن يَنفَعَ بِهَذِهِ الرِّسالَةِ نَفعًا كَثيرًا، ونَدعُوهُ سُبحانَهُ أَن يَجزِيَ مُؤَلِّفَها -شَيخَنا عَبدَ الغَنِيّ عَوْسَاتْ- خَيرَ الجَزاء على ما أَسْدَى فِيها مِنْ نُصْحٍ وبَيَّن مِن فَضْلِ العِلمِ وأَهلِه وطُلَّابِه، حُبًّا مِنْهُ لَهُم أَنْ يَسْعَوْا في تَحْصِيلِهِ وأَنْ يَكُونُوا مِنْ رُوَّادِهِ والْمُهتمين بِهِ كَما نَسأَلُهُ سُبْحانَهُ أَنْ يُلْهِمَهُ التَّوْفِيقَ والعَوْنَ فيما يُقَدِّمُهُ مِن جُهودٍ مُتَواصِلَةٍ في تَوعِيَةِ المسلِمين ونَشْرِ سُنَن هذا الدِّينِ القَوِيم، اللَّهُمَّ آمِينْ.

وكَتَبَ

أبو فهيمة عبدُ الرَّحمن البِجَائِي

بِجَايَة ليلة الأحد ٢٠ مُحرّم ١٤٣٢

إنَّ الحَمد للهِ، نَحمَدُهُ ونَستَعِينُهُ ونَستَغفِرُهُ، ونَعوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وسيِّئاتِ أَعمالِنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَه، ومَن يُضْلِل فَلا هادِيَ لَه، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ ورَسولُهُ.

أمّا بَعدُ : فَإِنَّ اللهَ تَعالى ما فَضَّلَ شَيئًا عَلى غَيرِهِ إلاّ وَكان ذَلكَ الفَاضِلُ الْمُفَضَّلُ يَتَضَمَّنُ مِنَ الفَضَائِلِ الفَاخِرَةِ والمسَائِلِ الفَاضِلَةِ الّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُها ويَتَوَسَّعُ خَيْرُها أَكثَرُ مِن غَيرِها.

وإِنَّ العِلمَ يَنفَعُ النَّاسَ أَكثَرَ من غَيرِهِ وحَاجَتُهُم إِلَيهِ أَعظَمُ مِن حاجَتِهِم إِلى الطَّعامِ والشَّرابِ؛ قال الإمامُ أَحمَدُ رَحِمَهُ اللهُ : "النَّاسُ إِلى العِلمِ أَحْوَجُ مِنْهُم إِلى الطَّعامِ والشَّرابِ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحتاجُ إِلى الطَّعامِ مَرَّةً أَو مَرَّتَينِ وحاجَتُهُ إِلى العِلمِ بِعَدَدِ أَنْفاسِهِ".

واشتِغالُهُم بِهِ -العِلم- مِن أَفضَلِ الطَّاعاتِ وأَعظَمِ القُرُباتِ إِذْ هُوَ عِبادَةٌ مِنَ العِبادات؛ قال بَعضُ أَهلِ العِلمِ : "العِلمُ صَلاةُ السِّرِّ وعِبادَةُ القَلبِ"، وهُوَ أَفضَلُ ما تُشْغَلُ بِهِ الأَوقاتُ وتُبْذَلُ في سَبيلِ تَحصيلِهِ الجُهودُ والطَّاقاتُ؛ فَبِهِ يَنالُ العَبدُ أَسْنَى الدَّرَجاتِ وأَسْمَى الْمَقاماتِ قال اللهُ تَعالى : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة: ١١] ، وقال تعالى : ﴿ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ ولَهُ مِنَ اللهِ بِذَلِكَ أَفضَلُ التَّشريفاتِ وكانَ أَهلاً لِأَجمَلِ الشَّهادَاتِ، قال تَعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] ، وناهيكَ بِها

شَرَفًا وفَضلًا، وكَفَى بِهِ عِزَّةً وفَخْرًا، كَيفَ لا وقَدْ ذَكَرَهُ اللهُ ثالِثًا بَعْدَما بَدَأَ بِنَفْسِه وَثَنَّى بِمَلائِكَتِه.

والعِلْمُ سِمَةُ الخَشْيَةِ عِند العُلَمَاءِ؛ قال تَعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨] ، وهُوَ نُورٌ يُهْتَدَى بِهِ في ظُلُماتِ الشُّكُوكِ والجَهالاتِ وسَكِينَةٌ لِلقُلوبِ والنُّفوسِ وحافِظٌ مِن كُلِّ ما يَشُوبُها ويُشَوِّهُها مِنَ الشُّبُهات والشَّهَوات.

وكَذلِكَ العِلمُ هُوَ الأَساسُ الأَعْظم لِجَميعِ المعَامَلاتِ، والشَّرْطُ الأَلْزَمُ لِصِحَّةِ الأَعْمالِ والأَقْوالِ وعَامَّةِ التَّصَرُّفاتِ، وهُوَ مِفْتاحُ بابِ كُلِّ ذَلِكَ مِنَ العِباداتِ والطَّاعاتِ قال اللهُ تَعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾﴾ [محمّد : ١٩] ؛ فَبَدَأَ بِالعِلمِ وما ذَلِكَ إِلَّا لِعَظَمَتِهِ وشَرْطِيَّتِهِ وعَلى هَذا بَنَى العُلَمَاءُ

أَحْكامًا ومِنهُ استَخْرَجُوا حِكَمًا مِنْها ما بَوَّبَ بِهِ الإِمامُ البُخارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في صَحيحِهِ "بَابٌ العِلمُ قَبْلَ القَوْلِ والعَمَلِ".

فالعِلمُ هُوَ الدَّافِعُ الْمُوَجِّهُ إلى فِعْلِ الطَّاعاتِ وكَسْبِ الحَسَناتِ، والمانِعُ الصَّارِفُ مِنَ المعاصِي وفِعْلِ السَّيِّئاتِ؛ وقَوَامُ العَبدِ في هَذِهِ الحَياةِ وسَبيلُهُ الْمُوصِلُ إلى الجَنَّاتِ قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم : "**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**" رواهُ مُسْلِمٌ؛ وإِنَّ ثَوَابَهُ يَنفَعُ صاحِبَهُ في حالِ الحَياةِ وبَعْدَ الْمَماتِ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم : " **إِذَا مَاتَ اِبْنُ آدمَ اِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ صَدَقَةٌ جارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**" رواهُ مُسْلِمٌ؛ فَمَن أُوتِيَ العِلمَ فَقَد أُوتِيَ خَيرًا كَثِيرًا، ونَال بِهِ فَضْلًا كَبِيرًا وكانَ أَهْلًا لِخَيرِ اللهِ وجَدِيرًا، قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم : " **مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**"رَواهُ البُخَارِي ومُسْلِم.

فبالعِلمِ يُعْرَفُ اللهَ -أَسماءَهُ وصِفاتَهُ وأَفعالَهُ وآلاءَهُ- ويَهتَدِي إلى صِراطِهِ، وبالعِلمِ يَهتَدِي إِلى التَّفْريقِ بَيْنَ حَلَالِهِ وحَرامِهِ، وبالعِلمِ يَهتَدِي العَبْدُ إلى الفَرْقِ بَيْنَ الأَحْكامِ الخَمْسَةِ -التَّكْليفِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ- التَّابِعَةِ لِجَمِيعِ حَرَكَاتِهِ وسَكَنَاتِهِ؛ فالعِلْمُ مِفْتاحُ صَلاحِهِ وبَابُ سَعادَتِهِ فبالعِلمِ يَتَوَصَّلُ العَبدُ إِلى إِحْقاقِ ما يَنْفَعُهُ واتِّقاءِ ما يَضُرُّهُ.

ولَمَّا كانَتْ فَوائِدُ العِلمِ أَكْثَر مِن أَن تُحْصَر وأَشْهَر مِن أَنْ تُذْكَر، فَتُعَرَفُ ولا تُنْكَر، وعَلَيْها العَبْدُ رَبَّهُ يَشْكُر، ولِكُلِّ مَن عَلَّمَهُ النَّاسَ أَهْلُ السَّماءِ والأَرْضِ والحُوتُ والنُّمْلُ يَستَغْفِر، ومِنْ أَجْلِ نَيْلِهِ وبُلوغِ قِمَّتِهِ وتَحصيلِ فَضَلِهِ وتَحْقيقِ خَيْرِهِ أَمَرَ اللهُ العِبادَ بالتَعلُّمِ وبِدونِهِ عَدَمُ التَّعلُّمِ، وكَذا أَمَرَ أَشْرَفَ الخَلْقِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم بالاستِزَادَةِ مِنْهُ فَقال تَعالى : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ

ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ [طه : ١١٤] .

ولَوْ كانَ هُناكَ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ العِلمِ لَسَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم رَبَّهُ وطَلَبَ الزِّيادَةَ مِنْهُ فَلَمَّا كانَ العِلمُ فَرْضًا ونَفْلًا فَإِنَّ الأَنْبِياءَ كانُوا لَهُ أَهْلًا، واستَحَقُّوا بِهِ فَضْلًا، فَالرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم مَضَى في تَحقيقِهِ استِزَادَةً وطَلَبًا وسيِّدُنا مُوسَى اتَّخَذَ في سَبِيلِ نَيلِهِ وتَحْصيلِهِ طَرِيقَهُ في البَحْرِ عَجَبًا فقَال لِمُعَلِّمِهِ : ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ [الكهف : ٦٦] .

وكَذَلكَ تَحمَّلَ السَّلَفُ الصَّالِحُ في سَبيلِهِ ما اعتَرَضَهُم مِنَ الشَّدَائِدِ والعَقَباتِ وتَجاوَزُوها بِحَزمٍ وحِلمٍ وتَجَلُّدٍ، و في تَحَمُّلِ

ما فيها مِن آلامٍ لِما يَجِدونَ بَعدَها مِن آمالٍ وحُسنِ مآلٍ وذَلكَ هُوَ دَربُ الأَعلامِ، وسِيرَتُهُم حافِلَةٌ بهذا ومَناقِبُهُم فاضِلَةٌ فِيهِ وإِجازاتُهُم فاخِرَةٌ بِهِ، فَلَهُم شَرَفُ استِحقاقٍ لِميراثِ الأَنبِياءِ وكانُوا بِهِ عُلَماءُ ولهُ أُمَناءُ ولِتَحَمُّلِهِ وبَذلِهِ حُلَماءُ نُزَهاءُ، فَكانَ حَقُّهُم فيهِ ظاهِرًا وحَظُّهُم وافِرًا قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم : "**العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنبِياءِ، وإِنَّ الأَنبِياءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينارًا ولا دِرْهَمًا ولَكِن وَرَّثُوا العِلمَ، فَمَن أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ**". رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وغيرهم.

فَكانُوا حَقًا عُدُولاً في تَحمُّلِهِ وبَذلِهِ وعَلَّموهُ غَيرَهُم كَما تَعَلَّموهُ مِن غَيرِهِم، فَبَذَلوا قُوَّاتهم وقَضَوا أَوقاتَهُم وصَرَفُوا هِمَمَهُم إلى تَصفِيَتِهِ مِن كُلِّ شائِبَةٍ ونَفَوا عَنه كُلَّ ما لَيس لَه صِلَةٌ ثَابِتةٌ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّم " **يَحمِلُ هَذا العِلمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ**

عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنه تَحريفَ الغَالينَ وتَأْوِيلَ الجاهِلينَ وانتِحالَ المُبْطِلينَ " أخرجه الخطيب وغيره.

وبَعدَ كُلِّ هَذا الَّذي ذَكَرنَاهُ مِن فَضلِ العِلمِ وشَرَفِ ذَويهِ حالاً ومآلًا، دُنيًا وأُخرى، هَل يَستَوِي العُلَماءُ وغَيرُهُم مِمَّن لَيسُوا بِعُلَماءَ؟ فَلا شَكَّ في كَونِهِم لَا يَستَوُونَ في نَظَرِ الحُكَماءِ والأَلِبَّاءِ لأَنَّ العَالِمَ يَسيرُ عَلى نُورٍ مَن رَبِّهِ بَينَما غَيرُ العالِمِ كَمَن يَمشِي في الظُّلُماتِ بَعضُها فَوقَ بَعضٍ لَيس بِخارِجٍ مِنها إِلَّا إِذا استَنارَ بِنورِ العِلمِ؛ فالعُلَماءُ في أَعلَى الدَّرَجاتِ والجُهَلاءُ في أَسفَلِ الدَّرَكاتِ فَلا يَستوُونَ إِذاً أَبَدًا ! قال الله تعالى : ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ** ٩﴾ [الزمر: ٩].

فالعِلمَ العِلمَ عِبادَ الله، إذ العلم جماع المنافع وترجمان الخير والصّلاح مراجع، فاصدقوا في الطلب وأخلصوا لله في القصد فذانِكَ شَرطانِ مُهمَّان نافعان وله من كلّ زلل أو خلل مانعان، ومن قواصم الطّريق عاصمان والله حسبك وعليه التكلان.

وسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِك أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْت أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْك.